

وجه ممكن ، انتابني شعور بالغربة والغربة وعدم الانتماء وأذكر جيدا بانني شعرت في تلك اللحظة بأن علي ان اتوم بعمل ما اذ انني أدركت بوضوح ، قبل ان أستطلع وجوه الاطفال الجالسين ورائي ، بأنه لم يسبق لهم ان شاهدوا تفاحة او موزة . وبالتالي كانت هذه الاشياء آخر ما يثر اهتمامهم . لم يكن هناك ارتباط بينهم وبين هذين الرسمين . وفي الواقع ، كانت العلاقة بين احاسيسهم وهذه الرسوم علاقة متوترة لا علاقة جيدة . كانت تلك نقطة تحول حاسمة ، اذ انني اذكر بوضوح تلك اللحظة بالذات من بين جميع الاحداث التي مرت بحياتي . ونتيجة لذلك ، محوت الرسوم عن اللوح وطلبت من الاطفال ان يرسموا الخيم . وبعد بضعة ايام ، عندما جاء المفتش الى المدرسة ، قال بانني حدثت عن البرنامج الحكومي المقرر مما يبرهن على انني معلم فاشل . وقد حملني اضطراري للدفاع عن نفسي الى [خضم] القضية الفلسطينية مباشرة . ان تراكم خطوات صغيرة كهذه يدمع الناس الى اتخاذ قرارات من شأنها ان تترك طابعها على حياتهم بأكملها .

تعليقا على هذه النقطة ، اظن انها تهيك انت بالذات [فانت] ، عندما تتناول الفن ، كاشتراكي على اي حال ، فانك تربط الفن مباشرة بالبيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . لقد لمست انت ذلك من خلال رسم تفاحة وموزة . ولكن بالنسبة لؤلفاتك ، هل لهذه المؤلفات علاقة بالواقع وبالزمن الحاضر او هل هي مستقاة من التراث [الادبي] ؟

— لقد نشرت قصتي الاولى عام ١٩٥٦ وكان عنوانها « شمس جديدة » . وتدور [حوادثها] حول طفل من غزة . عندما امتعرض مجمل القمص التي كتبها عن فلسطين حتى الان ، يتبين لي ان كل قصة ترتبط بطريقة مباشرة او غير مباشرة وبخيط دقيق او متين بتجاربي الشخصية في الحياة . غير ان اسلوبى الكتابي تطور خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٠ او ، على وجه التحديد ، عام ١٩٦٢ . في البداية ، كتبت اكتب عن فلسطين كقضية قائمة بحد ذاتها ، ومن الاطفال الفلسطينيين ، عن الانسان الفلسطيني ، عن آمال الفلسطينيين بحد ذاتها ، كاشياء منفصلة عن عالنا هذا مستقلة وقائمة بذاتها كوقائع

اداري مشكلتي هذه . وكان ذلك في عام ١٩٥٤ على الاغلب . اظن انني كسرت سباتي في ذلك العام في حادثة . وكان علي ان الازم الفراش طوال ستة شهور . عندها ابتدأت المطالعة بالعربية بصورة جدية .

اظن ان باستطاعتنا ان نورد امثلة عديدة عبر التاريخ عن اناس « ضيعوا » لغتهم وهم بالتالي يحاولون استردادها . هل تظن ان هذه العملية تطور الانسان سياسيا ؟

— لا ادري . قد يكون الامر كذلك . أما بالنسبة لي شخصيا فقد تم « تسييسي » بطريقة مختلفة . اتجهت نحو السياسة في مرحلة مبكرة لاننا كنا نعيش في الخيم . ولذا ، كنت على اتصال مباشر مع الفلسطينيين ومشاكلهم من خلال ذلك الجو الحزن والعاطفي الذي عشته كطفل . ولم يكن من الصعب علي اكتشاف الجذور السياسية للجو الذي عشته . وعندما باشرت بالتدريس ، واجهت مصاعب جمة مع الاطفال الذين درستهم في الخيم . فقد كنت اغضب دائئا لدى مشاهدتي طفلا نائما اثناء الصف . وببساطة اكتشفت السبب : لقد كان هؤلاء الاولاد يملون في الليل ، يبيعون الحلوى او العلكة او ما شابه في دور السينما والطرقات . وبالطبع ، كانوا يأتون الى الصف وهم في غاية التعب . ان حالة كهذه ، تقود الانسان غورا الى جذور المشكلة . فقد تبين لي ان نوم الطفل ليس ناجما عن استخفافه بي او عن كرهه للعلم ، كما لم يكن للامر علاقة بكرامتي كمعلم ، بل كان مجرد انعكاس لمشكلة سياسية .

اذن ، ساهمت تجربتك هذه في تطوير وعيك الاجتماعي والسياسي .

— نعم ، وأذكر بأن ذلك حدث ذات يوم بصورة مباشرة . كما تعلم ، يتولج معلمو الفلامنك الصغار تعليمهم كافة المواد بما فيها الرسم والحساب والانكليزية والعربية وغيره . وذات يوم ، كنت احاول تعليم الاولاد ان يرسموا تفاحة وموزة تمشيا مع البرنامج الذي اقرته الحكومة السورية ، اذ انني كنت أمارس التعليم هناك . وكان علي ان أتقيد بالكتاب . وفي تلك اللحظة ، عندما كنت احاول ان ارسوم هذين الرسمين على اللوح بأكمل